الموسم

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

مجلة الموسم (العدد 13) – 1992 – 1413

ارشيو نشريات
جامعة تخصصي دارالحد
٢١٤٣٨

الرافد

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

Shiabooks.net

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة

ترسل جميع المراسلات والطلبات بإسم صاحب المجلة الى :

المركز الوثائقي لتراث اهل البيت عليهم السلام

اكاديمية الكوفة

هولندا

AL KUFA HOUSE POST BUS 1113
3260 AC OUD - BEIJRLAND
HOLLAND FAX: 01860 - 20712

الاشتراك السنوي للأفراد ٥٠ $ وللمؤسسات ١٠٠ $.

المسرح الحسيني

الدكتور حسن نصر الله «لبنان»

خلا الأدب العربي القديم من المسرح ، الذي ظلَّ غائباً حتى منتصف القرن التاسع عشر . عندما قام مارون النقاش (١٨١٧ ـ ١٨٥٥) بترجمة بعض المسرحيات الاجنبية وتمثيلها في بيروت.ورغم الانطلاقة النهضويَّة ، مازال المسرح العربي يتعثر ، ومازال متخلفاً : تأليفاً وتمثيلاً حتى يومنا هذا . أما بذرة المسرح العربي فغرستها مأساة الحسين منذ أن بدأت زينب مع نساء الوحي يروين قصة استشهاد الامام الحسين وأصحابه ، مردّدين أقوالهم ، مشيرين الى حركاتهم . بيد أن الاضطهاد لكربلاء الحسين استمر اضطهاداً لكربلاء المنبر ، حتى تسلطن البويهيون في القرن الرابع الهجري .

روى الذهبي قال : إنّ أول مأتم حسيني أُقيم في بغداد كان في محرم سنة ٣٥٢هـ /٨٦٦ م . حيثُ ألزمَ مَعزُّ الدولة البويهي ، الناس بغلق الأسواق ، ومنْعِ الحرَّاسينَ والطبَّاخين من الطّبخ ، ونصبوا القبابَ في الأسواق ، وعلّقوا عليها المسوح ، وأخرجوا نساءً منشوراتِ الشعور مضمّخات يلطمن في الشوارع ويقمن المآتم على الحسين عليه السلام» [الذهبي : دول الاسلام : ١٩٥]

وتطَّورتِ المآتمُ والمسيراتُ إلى مسرح يقام في ساحة بغداد العامَّة ، يَعْرُض قصة الاستشهاد ، ويحضره رجال الدولة وعامةُ الشعب . حتى قيل : أن أول مسرح عربي تمثيلي هو المسرح الحسيني في العهد البويهي ، لكن العوائق منعته من الاستمرار والتطور ، ويصعبُ رصدُها جميعاً :

أولها : اضطهاد الحكام بعد البويهيين لذكرى الحسين ، فذكراه كانت ترجفهم ، وتخيفهم مادام شعارها ، الاصلاح في الاسلام والامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . لقد خنق الظالمون هذه الظاهرة ، فكان المؤمنون في العهود العبَّاسيَّة والتركيَّة يقيمون عاشوراء في السراديب ، ويأمرون النساء ان يُدِرْنَ الرحى حتى يغلب ضجيجُها على ضجيجهم .

ثانياً : حرَّم فقهاءُ الشيعة تمثيلَ شخصيَّة الحسين ، الامام المعصوم ، إذ لايصحُّ أن يتزيَّا بزيِّه أحد . أو يلقب دوره مشخّص .

ثالثاً : إن المسرح الحسيني أحياه البويهيون الفرس الذين عرفوا المسرح منذ القديم . ولما انقرضت دولتهم ، تلاشى المسرح لأن العنصر العربي لم يتحمَّس لهذا الفن .

عاد المسرح الكربلائي إلى الحضور مع الصفويين ، واتخذ مع الشاه عباس منحى جديداً باستخدام السيوف في ضرب الرؤوس والجباه وإسالة الدماء . ومن أصفهان رجع إلى منطلقه الأول الى كربلاء ، مترقياً له خصائصه ومميزاته ، رجع مع فارسي أيضاً هو محمد علي التبريزي ، الذي تحدّى سلطة الحكومة التركيّة ، وأحيا ذكرى عاشوراء في باحة الحرم الحسيني ، إحياءً مزج التشخيص بالواقع مدة عشرين سنة .

كتبت جريدة Le Temp الفرنسية سنة ١٩٠٧ م مقالاً عنوانه «Le lamentations deHusseina Kerbala :»

«آلام» : «وعذابات الحسين في كربلاء» وصفت فيه عرضاً مسرحياً مأساويا مذهلاً ، في كربلاء بقيادة التبريزي . ومما قالته : «ان المناظر يذوبُ لها الفؤاد حزناً وكآبة ، فالشهداءُ موضوع الاحتفال آلو أن يضحوا بأنفسهم تبرُكاً وتيمُناً بالامام الحسين ، مما يحمُل بعضَ الحاضرين على التدخُّل لمنعهم من تنفيذ وعودهم ، وكثيرون منهم يموتون فدى لسيِّدهم . وأبطالُ هذا المسرح رجالٌ حلقوا وَسْطَ رؤوسِهم من الجبهة الى القفا . ويرتدون أثواباً بيضاء ، ويحملون في يوم عاشوراء . وإلى جانب الرجّالة يشارك الفرسانُ بأثوابهم البيضاء الملائكيّة . يصطفُّ المستشهدون على هيئة نصف دائرة ووسط الأدعية والاناشيد الدينيّة ، يبدأ ضربُ الرؤوس ضرباً مؤلماً حتى تسيل الدماءُ على الوجوه ، ويستمرُّ النزْفُ فتتلوَّنُ الاثواب البيضاءُ بالدمِ القاني . وترتجفُ الايدي فتقف عن الحركة ريثما تجمِّع قواها فتكملُ جهادَها . ويسقطُ الرجالُ صرعى وماهم بصرعى ، وقد يسقط أحد المستشهدين لكثرة الجروح ، وللحال تمتدُّ إليه الأيدي لتنعشه . وقد يتفق أن يموت فتكونُ وفاتهُ مواساة للحسين . فيرفعه الناس بأوجه باشّة ، مبتسمة وهم يظنون في أنفسهم أنهم من السعداء ، لأنهم شهدوا تقدمة هذا القربان ، ولمسوه لمساً لطيفاً للتبرك . وقد تتقدم إحدى النساء وتأخذ قطعة من ثوبه الملطخ بالدم لتغتسل بمائها فيزولُ عقمُها ، ببركة هذا الدم الذي سفك حُباً بالحسين . وبعد ان يسقط الرجالُ تعباً أو تمثيلاً يرقصُ الفرسان ، ويهرّجون فرحاً بالنّصر ،ويزحفون الى خيمٍ مضروبةٍ في أقصى المكان . فيقومون بعمليّة السلب والنّهب ، وحرقِ الخيم . وتستغرقُ عمليَّةَ التمثيلِ خمسَ ساعات » .

هذا النَّوعُ من المسرح انتقل إلى النبطيّة في جنوب لبنان ، ومازال ميدانياً تجري وقائعه ، لاعلى خشبة المسرح ، إنما في ساحة تتّسعُ لضرب الخيام ، وجري الخيل ، وعمليّاتِ الكرِّ والفرِّ . وتظلُّ الحركاتُ المسرحية ثمرة من بستان المنبر الحسيني الذي أنبت أشجارَ الثقافةِ في صحراءِ كربلاء ، وظلَّ يرويها بدماء الحسين .